

أصول السرخسي

فصل وما ينتهى إليه ما يقع به الترجيح في الحاصل أربعة .

أحدها قوة الأثر والثاني قوة الثبات على الحكم المشهود به والثالث كثرة الأصول والرابع عدم الحكم عند عدم العلة .

أما الوجه الأول فلأن المعنى الذي به صار الوصف حجة الأثر فمهما كان الأثر أقوى كان الاحتجاج به أولى لصفة الوكادة فيما به صار حجة .

فذلك نحو دليل الاستحسان مع القياس ونحو الأخبار إذا تعارضت فإن الخبر لما كان حجة لمعنى الاتصال برسول الله ﷺ فما يزيد معنى الاتصال وكادة من الاشتهار وفقه الراوي وحسن ضبطه واثقانه كان الاحتجاج به أولى .

فإن قيل أليس أن الشهادات متى تعارضت لم يترجح بعضها بقوة عدالة بعض الشاهد وهي إنما صارت حجة باعتبار العدالة ثم بعد ظهور عدالة الفريقين لا يقع الترجيح بزيادة معنى العدالة قلنا العدالة ليست بذي أنواع متفاوتة حتى يظهر لبعضها قوة عند المقابلة بالبعض وهي عبارة عن التقوى والانزجار عن ارتكاب ما يعتقد الحرمة فيه وذلك مما لا يمكن الوقوف فيه على حد أن يرجح البعض بزيادة قوة عند الرجوع إلى حده بخلاف تأثير العلة فإن قوة الأثر عند المقابلة تظهر على وجه لا يمكن إنكاره .

وبيان هذا في مسائل .

منها أن الشافعي علل في طول الحرية أنه يمنع نكاح الأمة لأن في هذا العقد إرفاق جزء منه مع استغنائه عنه فلا يجوز كما لو كان تحت حرة وهذا الوصف بين الأثر فإن الإرفاق نظير القتل من وجه ألا نرى أن الإمام في الأسارى يتخير بين القتل والاسترقاق فكما يحرم عليه قتل ولده شرعا يحرم عليه إرفاقه مع استغنائه عنه .

وقلنا هذا النكاح يجوز لعبد المسلم فإن المولى إذا دفع إليه مالا وأذن له في أن ينكح به ما شاء من حرة أو أمة جاز له أن ينكح الأمة فلما كان طول الحرية لا يمنع نكاح الأمة للعبد المسلم لا يمنع للحر لوجود الحرية في الدنيا .

وتأثير ما قلنا أن تأثير الرق